

كلمة الحياة

أيلول/ سبتمبر 2026

"المحبة لا تنزل بالقرب شرًا، فالمحبة إذا كمال الشريعة" (رومة 13: 10).

هل يمكن أن نأمر أحدًا بأن يُحب؟ إذا كنّا نعني بالمحبة الشعور، فمن الواضح أن ذلك مستحيل! ولكن إذا فهمناها على أنها هبة من الله، فإن الأمور تتغير.

في رسالته إلى أهل رومة، التي أخذت منها كلمة الحياة، يصف لنا بولس بالتحديد العلاقة بين الشريعة والمحبة، مؤكدًا أن المحبة هي إتمام كامل للشريعة. وقبل ذلك بقليل، كشف لنا عن مصدر هذه المحبة بقوله: "ولكن الله برهن عن محبته لنا بأن المسيح مات من أجلنا ونحن بعد خاطئون" (رو 5: 8). وكذلك تقول الرسالة الأولى ليوحنا: "تلك هي المحبة. نحن ما أحببنا الله، بل هو الذي أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (1يو 4: 10).

"المحبة لا تنزل بالقرب شرًا، فالمحبة إذا كمال الشريعة".

لا أحد منا يستطيع أن يُعطي ما لا يملكه. وقد أدرك أغسطينوس ذلك جيدًا عندما قال، مخاطبًا الله مباشرة: "أعط ما تأمر به ومُر بما تشاء"¹. لقد نلنا هبة محبة الله التي لا تُقدَّر بثمن، ونحن مدعوون ألا نحتفظ بها لأنفسنا بل أن ننشرها. يمكننا أن نتحول من متلقين لمحبة الله إلى فاعلين فيها: فمن محبوبين، نحن مدعوون لأن نصبح مُحِبِّين، بحيث نشارك في حياة الآب والابن والروح القدس نفسها، أي المُحِبِّ والمحبوب والمحبة. يُطمئننا بولس بقوله إنه ليس علينا لأحدٍ دينٌ إلا حبُّ بعضنا لبعض، لأنَّ مَنْ أحبَّ غيره أتمَّ الشريعة².

"المحبة لا تنزل بالقرب شرًا، فالمحبة إذا كمال الشريعة".

¹ أغسطينوس، اعترافات، 10، 29، 40.

² راجع رومة 13: 8.

تؤكد لنا كيارا لوبيك: "المحبة الحقيقية لا تنزل الشرّ بالقرب، وهي تجعلنا نعمل تمام العمل بوصايا الله كلّها من دون أن نُهمَل شيئاً منها، فإنّ هدفها الأول هو أن تجعلنا نبتعد عن جميع أنواع الشرور التي قد نرتكبها، فنُسيئ لأنفسنا ولإخوتنا وأخواتنا"³.

وبهذا الفهم، بدلاً من أن تكون وصايا الشريعة مجرد فرضٍ أو واجب، فهي تصبح هبةً من محبة الله: لا تقيّد محبّتنا بل تحرّرها بالكامل.

"المحبة لا تنزل بالقرب شرّاً، فالمحبة إذاً كمال الشريعة".

للوصول إلى هذا "الإتمام الكامل"، فإنّ الخطوة الأولى في محبة القريب هي عدم الإساءة إليه. ولكن بعد ذلك، علينا أن نصبح مبدعين في المحبة. وقد ذكرنا البابا فرنسيس بذلك قائلاً: "لا يكفي عدم صنع الشرّ للقريب، بل يجب اختيار صنع الخير باغتنام الفرصة لإعطاء شهادة حسنة على أننا تلاميذ يسوع"⁴.

كيف نعيش إذاً كلمة الحياة هذه؟ فلنضع المحبة في صميم حياتنا. لنحبّ الآخرين بشكل ملموس كما كان يسوع ليحبّهم: فهو ملء المحبة المعطاة بالكامل لله ولل بشرية، ومنه يمكننا أن نتعلّم المقياس الأسمى للمحبة.

"المحبة لا تنزل بالقرب شرّاً، فالمحبة إذاً كمال الشريعة".

دوريس، شابة من اسكتلندا، تروي لنا: "خلال زيارتنا المنتظمة إلى مأوى للمشرّدين، أدخل إلى عالم مختلف تماماً عن عالمي. أعلم بأنّ المهمّ ليس ما أشعرُ به بل أن أحبّ. في أحد الأيام، أخبرني رجل بدا على وجهه حزنٌ عميق، بأنّه يشعر بالاستعداد لإنهاء حياته، وبرغبته حتّى بالموت. أخذتُ أصغي إليه ببساطة، ثم شاركنا معاً شطيرة خبز وفنجان قهوة. وأدركتُ أنّ الإصغاء والحضور بحدّ ذاتهما شكلاً بالفعل طريقة لإظهار المحبة. فعندما حان وقت الرحيل، عانقني بقوة وابتسم قائلاً إنّ ما كنّا نقوم به مهمٌّ جدّاً، ليس له وحده، بل

³ كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر أيلول/ سبتمبر 1993.

⁴ البابا فرنسيس، المقابلة العامة، 3 كانون الثاني/ يناير 2018.

لجميع من كانوا هناك. شعرتُ بالقوّة العظيمة للمحبّة. ربّما لم "أنقذه"، ولكنّ امتنّاه ملأني فرحاً، وهذا وحده،
في حدّ ذاته، أمرٌ قويٌّ جدّاً".

إعداد كلاوديو تشانفاليوني ولجنة كلمة الحياة